

## النفس الاجتماعية



يتفق علماء الاجتماع على أن الشخصية والسلوك الفردي يتأثران - إلى حد بعيد - بالسلوك الاجتماعي لبقية الأفراد. ولا ريب أن هذا التأثير يعكس معنى الحياة الاجتماعية التي يعيشها هؤلاء الأفراد. فعن طريق النفس الاجتماعية يتم أحد شيئين ذي أهمية خاصة وهما: إما: مساعدة الآخرين. وإما: إنزال الأذى بهم.

فعلى صعيد مساعدة الآخرين، فقد فشلت النظريات الأخلاقية الغربية في إنشاء دافع ذاتي لدى الإنسان كي يساعد أخاه الإنسان الآخر في الحالات الاستثنائية الطارئة. وتسمى تلك الحالة بـ"التفرج على الجريمة مع شعور اللامبالاة" وهي عدم استعداد الأفراد لإنقاذ ضحية خلال جريمة تقع على مرأى منهم. ولعلّ أنصع مثال على ذلك هو حادث الاعتداء على امرأة اسمها "كيتي جنوفيس" في مدينة نيويورك سنة 1964م. فهذه المرأة تعرضت إلى حادث اعتداء على مقربة من بيتها. وحاول الجاني ضربها حتى الموت لمدة نصف ساعة، بينما كان أكثر من ثمان وثلاثين جاراً ينظرون إليها ويتفرجون على عملية قتلها من نوافذ شققهم القريبة من مكان وقوع الجريمة. ولم يبادر أي فرد من هؤلاء لمساعدتها أو حتى إخبار جهاز الشرطة بذلك. وأعزى علماء الاجتماع سبب عدم إكترات الجيران بمنع حادث القتل على الأقل، إلى أن الأفراد في حالات طارئة كهذه لا يعرفون الأسباب والدوافع وراء عملية القتل. ولذلك فإنهم لا يستطيعون تفسير طبيعة الاعتداء الذي أدّى إلى قتل المرأة. ولما كان الأفراد بحاجة إلى تفسير دوافع تلك الحالات الطارئة، فإنهم ينتظرون من يتحرك قبلهم لإنقاذ الضحية كي يقوموا بدورهم المطلوب. فالتحرك الجمعي لا يتم حتى يتحمّل أحد الأفراد المسؤولية الأخلاقية ويبادر إلى مسرح الجريمة لإنقاذ تلك الضحية، وعندها يبادر الآخرون.

هنا تأتي النظرية الدينية الإسلامية لتصحح ذلك الإعوجاج في السلوك العملي الاجتماعي. فالدين لا يحثّ على مساعدة الآخرين وقت الكوارث والحالات الطارئة فحسب، بل يربط تلك المساعدة الاجتماعية بالجزاء الأخروي كما جاء في المشهور من حديث رسول الله (ص) عندما دخل المسجد فقير يسأل الناس، فقال (ص): "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ سَنَةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ"، وهو نص مطلق غير مقيد بالإنفاق. بمعنى أن تحمل المسؤولية الأخلاقية في المساعدة الاجتماعية من قبل الأفراد سوف يحرك بقية الأفراد نحو تحمّل مسؤولياتهم الاجتماعية أيضاً في مساعدة الآخرين ومنع الانحراف الاجتماعي. وهذا اللون من الحثّ الديني تظهّر مصاديقه الناصعة في مناسك الحج عندما يتجمع مئات الألوف من الأفراد في مكان واحد، وما أن يحصل أمر طارئ لفرد حتى يتجمع بقية الأفراد لمساعدته تطبيقاً للسنة الشريفة.

